

# التسويق الثقافي الغربي

## رواية (شيفرة دافنشي) أنموذجاً

المدرس الدكتور  
قيس كاظم الجنابي  
الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف



## التسويق الثقافي الغربي رواية (شيفرة دافنشي) أنموذجاً

المدرس الدكتور

قيس كاظم الجنابي

الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف

-١-

جاء في الرواية: (إن رياح التغيير قادمة لا شك)

ثمة عبارة غير بريئة حقاً تردد في رواية (شيفرة دافنشي) للكاتب الفرنسي (دان براون)، تقول: إن رياح قادمة لاشك<sup>(١)</sup>، تشير إلى متغيرات كثيرة في الحياة الدينية في العالم، ولم تكن هذه العبارة عفوية مطلقاً - بالنسبة لي على الأقل - لأنها في ميدانها الحقيقي، وإن استخدامها في عمل روائي مهم يتضمن العديد من الإشكاليات المعرفية والجسدية، لهو تعبير واضح عن الرياح القادمة التي ستعصف بأديان العالم، ثم تلقي بظلالها على الآخرين، ولأن رواية مثل (شيفرة دافنشي) هي رواية ليست بريئة، فتتحدث عن مسيرة طويلة من الحياة الدينية والثقافية، ثم تحاول أن تشتت منظوماتها القديمة التي استسلم الناس لها، وعدوها مقدسة وثابتة ولا يجوز الاقتراب منها، وإن فتح النار عليها عبر الدراسات الفكرية يبدو مثيراً للجدل، ويخفي ما وراءه الكثير من العواطف؛ لذا أصبحت الرواية الوسيلة المفضلة لمواجهة ثوابت المقدس.

تقوم الرواية على استخدام السرّ أو الرمز وسيلة لبث الأفكار الدينية التي تستند إلى إحدى لوحات الرسام ليوناردو دافنشي ١٤٥٢ - ١٥١٩م وهو رسام إيطالي اشتهر بلوحته الموناليزا، وقد تناولت الرواية الديانة المسيحية لغرض تفكيك الرموز والأفكار الدينية من خلالها، وتحويلها من رؤى دينية إلى ممارسات إنسانية عادية تطيح بهالة القدسية التي تحلقت حولها، فهي من

الروايات المهمة التي اعتمدت على الرموز بشكل واسع بدءاً من العنوان، ومروراً بكل التفاصيل الدقيقة.<sup>(٢)</sup> ثم أخذت تسير على وفق الاتجاه المرسوم لها في استخدام الرموز الغرائبية التي ييثرها الكاتب، متقللاً بين فرنسا وبريطانيا مستفيداً من الثقافة الأوروبية بشكل عام، وخصوصاً الثقافة الإسبانية المتعلقة بفن الرسم التشكيلي والآثار والفكر الذي تخلط فيه الأوراق، وهو يسحب القارئ / المتلقي إلى مجسات الحياة السحرية المفعمة بالتناقضات والاحتمالات والأساطير ولعبة الصراع بين الشيطان والآخرين.

تعرض رواية (شيفرة دافنشي) على وفق بنية بوليسية دينية، من خلال السلسلة الذهبية للأنبياء التي تشير إلى أن السيد المسيح قد تزوج من مريم المجدلية، وتزوجت أمه مريم العذراء يوسف النجار، وبذلك يكون المسيح مستمراً حتى يوم الرجعة والقيامة، وهو عيد مهم معروف لدى المسيحيين<sup>(٣)</sup>. ومنذ الصفحات الأولى للرواية تبدأ ملامح استخدام السر الخفي الذي يتحول إلى رمز لا بد من كشف مجساته وظلال المعنى فيه، من اجل معرفة مقتل شخصية (سونيير) الذي كان الوصي الوحيد على احد أهم وأعظم الأسرار التي تم حفظها الآن<sup>(٤)</sup>، والأسرار المحيطة به وأسباب قتله إذ تنصب جهود شخصية (لانغدون) على فك الرموز التي لها علاقة بمقتل (سونيير) والأسرار الخفية المحيطة به، والذي يعتبر عالم الإيقونات التي تجسد الأنثى الأولى على الأرض فكان ذا ولع شخصي بالآثار وعبادة الآلهة الأنثى وعبادة الطبيعة والأنثى المقدسة<sup>(٥)</sup>.

استخدم كاتب الرواية لوحات ورموز دافنشي عاملاً مساعداً لمعرفة الأسرار الخفية لتلك الرموز، ومنها زهرة الزنبق، زهرة ليزا، الموناليزا كما صورها في لوحته المشهورة، والتي قيل عنها أنها ذات ملامح ذكورية من خلال تحليل ابتسامتها الغائمة المثيرة للتساؤل.

ارتبطت الأسرار الخفية للرواية بالأساليب السحرية المتغلغلة في السرد الروائي بشكل يدعو للإعجاب والاستغراب من خلال الرموز المقدسة التي تحاول تسويق الأفكار التوراتية، مثل تعاليم (القابالا) التي تحمل قوتها السحرية التي تجعل السر مثيراً وغرائبياً، من خلال عالم الرموز (لانغدون) الذي اطلع على الكثير من الجذور الدينية السحرية وحاول فهم طبيعة الطقوس الاحتفالي حينما كانت الكاهنات والكهنة المصريون يؤدون بانتظام الاحتفال بخصوبة الأنثى المتجددة أو ما يسمى بالزواج المقدس،<sup>(٦)</sup> الذي كان شائعاً في العراق القديم أيضاً، وهو الذي يعرف بعيد الربيع (اللايتو) والذي يعد تجسيداً لعبادة الأم الكبرى أو الأم المقدسة، والذي تسلمت أفكاره إلى نشيد الإنشاد في التوراة؛ فقد كان اليهود الأقدمون ((يؤمنون أن قدس الأقداس في هيكل سليمان لم يكن بيت الرب فحسب بل كان بيت سكننا أيضاً. لذا فقد كان الرجال الباحثون عن الكمال الروحي يأتون إلى المعبد ليزوروا الكاهنات أو خادمت الهيكل ليمارسوا معهن الجنس للتواصل مع الرب من خلال الاتحاد الجسدي.<sup>(٧)</sup> ففي لوحة دافنشي (القديسة حنة مع السيدة مريم العذراء والطفل يسوع) تبرز فكرة الأم المزدوجة، وهي أنموذج له أشكاله في الأساطير القديمة والتي تعني التحرر من الأبوين أولهما بشري والآخر إلهي، كما هي حال هرقل الذي نال الخلود لأنه ابن (هيرا) بالتبني فما كان أسطورة عند اليونان كان طقساً عند الفراعنة؛ فقد كان الفرعون بشراً والاهاً في آن واحد<sup>(٨)</sup>.

فقد حاول (لانغدون) بوصفه عالماً بالأسرار في هذه الرواية اكتشاف الروابط الداخلية الخفية بين الرموز المختلفة والإيديولوجيات لقد كان (لانغدون) يرى العالم على أنه شبكة معقدة من التواريخ والأحداث المرتبطة

داخليا ببعضها بقوة<sup>(٩)</sup>، لغرض معرفة الرمز الذي رسمه (سونيير) على جسده، وهو خمسة خطوط مستقيمة تتقاطع فيما بينها مُشكّلة نجمة ذات خمسة نقاط، تلك هي النجمة الدموية المتمركزة في سره، النجمة الخماسية التي يعود تاريخها إلى ما قبل المسيحية، وتدل على عبادة الطبيعة والأشياء المقدسة، والتي ترمز إلى الآلهة (فينوس) ربة الجمال والحب الأثوي، والتي توحي بفكرة عبادة الشيطان والرموز الشيطانية؛ أي تغلغل الرموز الشيطانية إلى داخل الرموز المسيحية<sup>(١٠)</sup>. في إشارة إلى اختلاط الرموز الدينية (الإلهية) بالرموز الإنسانية لان إحدى التفسيرات تشير إلى أن الشيطان رمز لكل شيء أو لإنسان مألوف بالنسبة إلينا،<sup>(١١)</sup> ومن خلال العلاقة الحية بين لوحة الموناليزا والرموز الدينية يمكن اكتشاف الحقيقة عبر نظام الطبيعة المقدسة، فقد كان دافنشي شاذاً جنسياً متطرفاً<sup>(١٢)</sup>.

- ٣ -

لقد وظف كاتب الرواية الفن التشكيلي وسيلة لاستدراج القارئ إلى فضاءاته الفكرية التي تحاول أن تبحث عن السر الضائع عبر تفسير لوحات دافنشي، وبالذات لوحة (الموناليزا) وكان هذا الرسام عالماً له معرفة متميزة بالميكانيك والطب، فحاول أن يصهر معرفته في تكوين عضوي واحد حتى الوقت الذي تكون دراساته الخاصة أكثر نشاطاً، فرسم (سجود المجوس) التي كلّف بها سنة ١٤٨١م غير أنه لم يكملها، كما رسم صورة (العائلة المقدسة)، ورسم (العشاء الأخير) و (السيدة العذراء والطفل) مع يوحنا المعمدان شاباً في غار غريب، وسط صخور بدائية عالية ينساب من بينها جدول غائر، كما رسم لوحة (البشارة)، وفي عام ١٥١٦م استقر به المقام في فرنسا وحين وفاته لم يرث تلميذة الوفي (ميلزي) صورة (العائلة المقدسة مع القديسة زن) وحسب، بل المخطوطات التي ضمنت معالجات (ليوناردو) في التشريح والهايدروليك

والجيولوجيا حتى قيل عنه: ((ليس وسع الطبيعة أن تلد مثيلاً له من جديد))<sup>(١٣)</sup>.

من هنا يعد الرسم فكرة رمزية مؤثرة في الثقافة العامة، لأنه يحمل أكثر من فكرة في آن واحد، ويستجيب لتأويلات متعددة، ومن خلاله يمكنهم نقد الفكر الديني وبث نزعة التعري فيه؛ فقد أصبحت لوحة (الرجل الغيتروني) إيقونة للحضارة، وهي محملة برمز أنثوي يمثل الحماية، فالدائرة المرسومة حول جسد الرجل العاري أكملت القصد من رسالة دافنشي الداخلية، بأنه كان شاذاً جنسياً متطرفاً، وأحد عبده نظام الطبيعة المقدس<sup>(١٤)</sup>، والتي تحيل إلى النجمة الخماسية أو الصليب الخماسي أو الإله المصري (آمون) و(فينوس) و(ايزيس) و(ميثرا) الفارسي والماعز وعبادة الشمس وأسطورة اوديب، والثور رمز الذكورة وعلاقة ذلك بابتسامة الموناليزا الغامضة أو الذكورية في إشارة إلى أن أعمال دافنشي تبدو وكأنها تنضج بالأسرار التي بقيت عصية على التفسير، فقد قام برسم الكأس المقدسة التي لها علاقة بعبادة الشمس والمعبود المصري (حورس) والفارسي (ميثرا)؛ مما يحيل إلى قيام الملك قسطنطين الوثني بتحريم الأناجيل الأولى وإحراقها، ووضع أناجيل أخرى بث فيها أفكاره الوثنية، فأبطل بذلك الأناجيل التي تحدثت عن السمات الإنسانية للمسيح وزين تلك التي أظهرت المسيح بصفات إلهية<sup>(١٥)</sup>، ومن تلك الأفكار فكرة الكأس المقدسة، والأم الكبرى، فأصبح اللأم الكبرى رمز يحاكي الحرف اللاتيني (V)، وهو يناهض الرمز الذكوري (٨) الذي يشبه الرقم العربي ثمانية، وكانت تلك الكأس هي كأس القربان / كأس المسيح / الكأس المقدسة، وهي ذات علاقة حميمة بزهرة (الغريل)، والتي لها نوع من أنواع الزنايق والتي تعد بالمعنى الحرفي للكلمة الرمز القديم للأنوثة والكأس المقدسة، وأنها تمثل المرأة المقدسة والإلهة الأثني. لقد كانت قوة المرأة وقدرتها على إنتاج الذرية

ومنح الحياة في قديم الزمان أمراً مقدساً، لكنه كان يهدد قيام الكنيسة التي سيطرت عليها السلطة الذكورية؛ لذا فقد ألصقت الصفات الشيطانية بالأنثى المقدسة وشوهت سمعتها<sup>(١٦)</sup>، وبالتالي فإن الكأس المقدسة كانت رمزاً للآلهة الضائعة، واللام الكبرى، وهي جسد أنثوي أشبه بوعاء سحري يتحول في داخله الدم إلى حليب يتفجر من فوهة الثدي، وجسد الأم الكونية هو الجرة الفخارية التي تحتوي على نعم الحياة وأسبابها، ثم تطلقها نحو الخارج لتزين السرة بصلب عادي (أو صليب معقوف)، والسرة هنا ذات قيمة رمزية كبيرة، لأن سرة (عشتار) هي مركز الكون ومعبدتها هو سرة الأرض<sup>(١٧)</sup>.

أما الكأس المقدسة فهي ذات صلة واضحة بالصلب بالإله شمس أو عبادة الشمس، كما عرف الصليب بأربعة أوراق ورد، فهو ذو تأثير زهري أو هندسي، لأن الإله شمس هو القرص ذو النجمة الرباعية وتمثل الأطراف الأربعة (مردوخ، ونركال، ونابو، ونورتا) والتي تعرف بالنقاط الرئيسية الأربعة لدورة الشمس خلال الفصول الأربعة وكذلك الأوجه الأربعة للقم<sup>(١٨)</sup>، تحاول المنهجية التي تبناها الكاتب أن تحيل إلى شيفرات / رموز دافنشي التي بثتها لوحاته إلى نهاية السلطة الأنثوية وبداية السلطة الذكورية مستفيداً من الأساطير المصرية والعراقية التي توغلت في الديانة المسيحية والتي أحدثها الملك الوثني الروماني قسطنطين عبر علاقة الطبيعة بثنائية الجنس المزدوج (التخنث)، فقد كان (بتاج) إله (منف) المصري ذكراً وأنثى في آن واحد<sup>(١٩)</sup>، كما أشار إلى رمزية الخاتم في استدارته لأنه بلا بداية ولا نهاية لذلك يعتبر رمزاً للأبدية<sup>(٢٠)</sup> أو الخلود، وهو ذو علاقة بزهرة اللوتس التي نبتت من المياه الأزلية، كما يرمز قرنا الكبش أو الثور إلى الأنثى، فكان في الكتابة الهيروغليفية معبراً عن الخوف والسلطة المتمردة، وهو على صلة بالوعاء أو القدر لأنه يمثل جسم المرأة أو وعاء الميلاد<sup>(٢١)</sup>.



وأحالت تلك الرموز إلى التعذيب الجسدي لدى المسيحيين بالجلد بالسوط وارتداء الحزام ذي المسامير الحديدية، والتي تشعر الراهب بالنشوة في تجربته العبادية، وعلاقة الدين بالفضائح التي نسبت إلى رجاله، ومنها التحرش الجنسي بالأطفال في إشارة إلى ازدواجية الإيمان والتطبيق وآثار التطبيق بين المسيحية والوثنية؛ فقد كان (لانغدون) يعتقد أن آثار الدين الوثني في الرموز المسيحية شديدة الوضوح فأقرص الشمس المصرية أصبحت الهالات التي تحيط برؤوس القديسين الكاثوليكين، والرموز التصويرية لايزيس وهي تحتضن وترضع طفلها المعجزة حورس أصبحت أساس صورنا الحديثة لمريم العذراء، وهي تحتضن المسيح الرضيع وكل عناصر الطقوس الكاثوليكية مثل تاج الأسقف والمذبح والتسبيح والمناولة وطقس (طعام الرب)؛ كلها مأخوذة مباشرة من أديان قديمة وثنية غامضة، وهذا ما توحى به وثائق (واحة / نجح حمادي) القبطية التي اكتشفت عام ١٩٤٥م ووثائق البحر الميت التي عثر عليها سنة ١٩٥٠م بالقرب من قمران في الصحراء النقيب<sup>(٢٢)</sup>. في إشارة إلى إنجيل القيصر (قسطنطين)، لذا حاول الكاتب محاكمة تلك الأحداث عبر حوار (صوفي) مع (لانغدون) عالم الرموز الذي يشير إلى وجود تناقضات بين نص الإنجيل والحياة الإنسانية حيث ترد الإشارة إلى أن العرف اليهودي يحرم على الرجل اليهودي أن يكون أعزب، كما أن الامتناع عن الزواج كان ذنباً يعاقب عليه بحسب التقاليد اليهودية، وكان واجب الأب اليهودي أن يجد زوجة مناسبة لابنه فلو كان المسيح أعزب، لكان ذلك قد ذكر في أحد الأناجيل، وتم تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة على الإطلاق<sup>(٢٣)</sup>.

من هنا يخلص الكاتب إلى أن الإنجيل هو كتاب من تأليف البشر، ولم ينزل بوحي من الإله، فلم يهبط بشكل خارق من السماء، وكان المسيح

شخصية تاريخية ذات تأثير مذهل، وكان يمتلك حقاً شرعياً للمطالبة بعرش ملك اليهود لأنه ينحدر من سلالة الملك سليمان والملك داود<sup>(٢٤)</sup>.

-٥-

إن ثمة علاقة واضحة بين النجمة الخماسية وزهرة الزنبق والكأس المقدسة وعبادة الأم الكبرى، من خلال طبيعة تحليل الرموز وتداخلها بين الوثنية والمسيحية؛ ذلك لأن النجمة الخماسية تحيل إلى إلهية الأنثى لأن العلاقة المتبادلة بين هذا الرمز والأنثى المقدسة معروفة على نطاق واسع، وكيف استطاع الملك قسطنطين وخلفاؤه الذكور نجحوا في تحويل العالم من الوثنية المؤنثة إلى المسيحية المذكرة، وذلك بإطلاق حملة تشهير حولت الأنثى المقدسة إلى شيطان متمرد ومحت تماماً أي اثر اللالاهة الأنثى في الدين الحديث، ومن خلال العلاقة الحميمة بين الدين والجسد اعتقد الأقدمون أن الذكر يكون ناقصاً دينياً حتى يحصل على المعرفة الجنسية من الأنثى المقدسة، وأن الاتصال الجنسي قديماً هو الفعل الذي يتقرب من خلاله الذكر والأنثى المقدسة وأن الاتصال الجنسي قديماً هو الفعل الذي يتقرب من خلاله الذكر إلى الرب<sup>(٢٥)</sup>. وهذا ما دفع إلى الاعتقاد بوجود علاقة مضمرة بين الجسد والشيطان حتى أن إبليس ارتبط بقرني الماعز مع العلم أنهما يحيلان إلى الأنثى بطريقة وبأخرى، من خلال أسطورة زيوس. وتحيلنا هذه الأفكار إلى رمزية الورد التي تتعلق بمفاتيح كشف الأسرار والنجمة الخماسية ومقتل (سونير) المريب لأنه الوصي على أسرار الكنيسة، فقد كانت الورد رمزا للكثير من الجيوش الجرار والأديان والجمعيات السرية وفرسان الصليب، وهي الورد السرية التي تشير إلى حظر الدخول إلى الاجتماعات السرية، والتي ترتبط بنجمة فينوس والأنوثة، وهي تشير بطرف خفي إلى أهم الأسرار الأخوية الماسونية الأولى، من خلال المعرفة السرية لكيفية استخدام حجر مفتاح لبناء عقد مقنطر، والتي

كانت جزءاً من الحكمة التي جعلت من الماسونيين حرفين أغنياء، وقد كان ذلك سرّاً محفوظاً بعناية؛ لهذا كانت علامة الوردة أكثر العناصر الزخرفية انتشاراً في عمارة الكنائس، فثمة نوافذ وردية وزخارف نحتية بارزة الورد ((وبالطبع الوردة الحماسية النباتات المنتشرة بكثرة كحلية معمارية تتوضع في قمة العقود فوق مفتاح العقد مباشرة))<sup>(٢٦)</sup>، وأصبحت النباتات الخمس في حياة الأنثى (الولادة / الحيض / الأمومة / اليأس / الموت)؛ لذا تطور رمز الوردة المفتوحة إلى رمز للأنوثة، لان الزهرة المفتوحة تشبه (صورياً) عضو المرأة التناسلي، وان مريم المجدلية كانت الرحم الذي أنجب سلالة الملكية، وأنها كانت حاملاً عندما صلب المسيح، وحفاظاً منها على سلامة طفل المسيح الذي لم يولد بعد لم يكن لديها أي خيار إلا أن تهرب وترحل عن الأراضي المقدسة، فقامت بمساعدة عم المسيح يوسف من (إريماثيا) بالسفر سرا إلى فرنسا التي كانت تعرف عندئذ ببلاد الغال، فوجدت لها ملاذاً آمناً في المجتمع اليهودي، ثم تحولت فيما بعد إلى نجمة سداسية، وهي شعار النبي الملك سليمان.

أخذت الرواية تنافس البحوث والدراسات في تسويق الأفكار والثقافات، بأشكال مختلفة، من خلال توظيف الأساطير والرموز وخلق هالة كبيرة من التضخم الإعلامي، وتسخير النقد لها بحيث تصبح الرواية وسيلة من وسائل بث الثقافة والقصائد السياسية التي تلقي اهتماماً عالمياً يسند لها بطبعات مليونية كبيرة تحاول العودة بالإنسان إلى جذوره الأولى حيث شاعت الأساطير والأساليب الغرائبية التي تخلق الفوضى في الحواس الإنسانية، وفي عمليات الاستقبال والاتصال والتلقي من أجل تمرير الأهداف الخفية، التي ربما تقف خلفها منظومات مخبرية خطيرة، ومنها تسويق الفكر التوراتي المشحون

بالأكاذيب والخرافات، كما حصل في روايات شهيرة مثل (هاري بوتر)، و(اسم الورد) و (شيفرة دافنشي) بموازاة روايات محسوبة على الفكر الإسلامي مثل رواية (الآيات الشيطانية) لسلمان رشدي، فبقي الغرب ينتظر النتائج من خلال مقدمات أولى سبقتها عبر الرواية السحرية التي أبرزتها ثقافات أمريكا اللاتينية التي أسبغ عليها ماركيز مسحته الجذابة في روايته (مائة عام من العزلة).

لقد قامت رواية (هاري بوتر) للكاتبة البريطانية (جي. كي. رولينغ) على حبكة سحرية تستند إلى أفكار السحر والشعوذة يقودها الفيلسوف المخادع (سنيب) الذي يبدو مناصراً لمحفّل الخير، لكنه في الحقيقة مجرد جاسوس يستخدم لعبة الأسرار التي لا يمكن كشفها بسهولة بمواجهة (سيد الظلام) رمز الشر / الشيطان، واعتقد أن المخابرات العالمية في كل أقاليم الأرض تصنع رموزها بطرق مثيرة وتستخدمها لأساليبها الدعائية أو شبه الدعائية، لأن العقل الغربي عقل موجه يسير على وفق مصالح ينتظرها، ويخطط لها حتى ولو بعد حين، واعتقد أن ظاهرة (هاري بوتر) هي لعبة لها غايات كثيرة وأبرزها ما نحن فيه الآن، وما سنكون عليه مستقبلاً، من خلال ترويض الذهن الطازج وتسويق الفكر السحري وهلوسات الشعوذة وما خفي كان أعظم<sup>(٢٧)</sup>.

بينما تحاول رواية (شيفرة دافنشي) أن تسوّق الفكر الأسطوري السحري / التوراتي بطريقة خاصة حين تجعل من السرد البوليسي وسيلة لبث التشويق لاستدراج القارئ / المتلقي ومنحه فرصة في تأويل النص من خلال أعمال البحث، وكد ذهن عميقاً للربط بين الفكر الديني اليهودي والمسيحي، وعلاقة ذلك بالرموز القديمة المصرية واليونانية في محاولة لإثارة نزعة البحث والكتابة

في ثنايا المسكوت عنه، وبالذات خطاب الجسد والدين والتوغل من خلال ذلك إلى البناء الفكري الديني الذي يتموضع تحت ظلال القداسة والتبجيل، وقد برزت آثار ذلك في الخطاب الروائي العربي، وبشكل متزامن مع الخطاب العالمي، أو تالٍ له، كما في رواية (تل اللحم) للكاتب العراقي نجم والي، التي استحضرت الفكر التوراتي وإشاعة روح التمرد والفجور حتى يصبح واقعا في ظل إمكانيات مفترضة تسمح بان يكون الالتزام الأخلاقي شذوذا مدانا<sup>(٢٨)</sup>، وإشاعة روح التسامح والتعايش أو ما يسمى بالتطبيع، لهذا نجده يتوجه برحلة علنية إلى القدس للاتصال بالجامعات الإسرائيلية، وينشر تلك الرحلة تحت عنوان (رحلة إلى قلب العدو) بحجة دعوته لحضور مؤتمر نظمته جامعة حيفا الإسرائيلية بعنوان (إلى أين يسير العراق) الذي نظمته البروفسور (آماتزيا برعام)، فسرّد حديثه عن هذا الفيلسوف الذي يهتم بالتراث الشعبي العراقي، وعرض بعض الصور مع مجموعته من المفكرين تصاحبه في بعضها (إنعام البطاط) للتعبير عن اهتمامه بالثقافة الإسرائيلي فأشار إلى (لوكتيزا) و(سامي ميخائيل) و (ساسون سوميخ)، ثم يختتم هذه الرحلة بقوله: (نعم، أعزائي الرحلة ((غير)) السياسية إلى قلب العدو<sup>(٢٩)</sup>.

لقد حملت روايات مطلع الألفية الثالثة وما قبلها بقليل نزعة واضحة نحو استثمار ثقافة الغرابة (الفانتازيا) والثقافة المشحونة بالتححرر والإباحية والشذوذ بشكل يخدش حياء القارئ، مع نقد عميق ومهين للبنى الدينية والثقافية، فظهرت آثار ذلك في الثقافة العربية، وبالذات في روايات مثل (يعقوبيان) لعلاء الأسواني و (عزازيل) ليوسف زيدان، وهذا ما يدفع نحو قراءة الأدب ذي اللمسات السحرية أو الأسطورية بوعي متجدد لاكتشاف البنى والإحالات التي تحيل إليها وبالذات إشاعة روح التقبل للفكر التوراتي والأجواء الجسدية المائعة؛ فقد اتخذت رواية (عزازيل) ليوسف زيدان

الصادرة عام ٢٠٠٨م جانباً قريباً من الافتراضات المقترحة من خلال نفي الجوانب الإلهية عن يسوع المسيح، من خلال استثمار ثقافة مصر القديمة فقد كانت شخصية (هيا) الراهب مثيرة لأنها تعرضت للمسكوت عنه في الخطاب الديني المقموع، فكان عزازيل الاسم المرادف للشيطان، وهو صوت الإنسان غير المحكوم بأطر دينية؛ لذا نراه ينادي (هيا) بقوله:

- هيا، الإنسان في كل عصر يخلق إلها له على هواه، كإله دوما رؤاه وأحلامه المستحيلة)).<sup>(٣٠)</sup>

كما راح يحاور (هيا) ويغريه مشيراً إلى الناس بأنهم رسموا صورة الإله، ثم أدركوا أن الشر أصيل في العالم وموجود (دوما)؛ لذا قال: (أوجدوني لتبريره)<sup>(٣١)</sup>. من هنا تحققت مقوله رواية (شيفرة دافنشي) التي كتبها: (إن رياح التغيير قادمة لاشك).

#### هوامش البحث

- (١) شيفرة دافنشي: دان براون، ترجمة سمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم - ناشرون (بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٧م): ص ٨٨
- (٢) في السينما التلفزيون: علاء مشذوب عبود، مراجعة صباح مهدي الموسوي، دار آراس للطباعة والنشر (اربييل، ٢٠١٢م): ص ٩٧-١٦٧.
- (٣) المصدر السابق: ص ١٧٦-١٧٧.
- (٤) شيفرة دافنشي: ص ١٥.
- (٥) نفسه: ص ٣٤.
- (٦) نفسه: ص ٣٤٤.
- (٧) نفسه: ص ٣٤٦.
- (٨) البنية النفسية عند الإنسان: كارل غوستاف يونغ، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار (اللاذقية / سوريا، د. ت): ص ٨٠-٨٤.
- (٩) شيفرة دافنشي: ص ٢٥.

- (١٠) شيفرة دافنشي: ص ٤٦-٤٩.
- (١١) الغرابة، المفهوم والتجليات في الأدب: د. شاكِر عبد الحميد، عالم المعرفة (الكويت، ٢٠١٢م): ص ١٥.
- (١٢) شيفرة دافنشي: ص ٥٨.
- (١٣) من دافنشي إلى سيزان، موجز تاريخ الرسم: مايكل ليفاي، ترجمة فخري خليل، مراجعة سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ٢٠٠٠م): ص ٨-١٠.
- (١٤) شيفرة دافنشي: ص ٥٧-٥٨-١٣٦.
- (١٥) نفسه: ص ٢٩٢.
- (١٦) نفسه: ص ٢٦٧.
- (١٧) لغز عشتار: فراس السواح، دار علاء الدين (دمشق، ٢٠٠٠م): ص ٤٨-٤٩.
- (١٨) شيفرة دافنشي: ص ١٤٠-١٤٩-١٥٠-١٥٢.
- (١٩) معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة: مانغريد لوركر، ترجمة صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود طاهر، مكتبة مدبولي (القاهرة، ٢٠٠٠م): ص ٩٨.
- (٢٠) نفسه: ص ١٢٥، ٢١١.
- (٢١) شيفرة دافنشي: ص ١٤٦-١٩٨-٢٤٩.
- (٢٢) نفسه: ص ٢٦٠-٢٦٣.
- (٢٣) نفسه: ص ٢٧٥.
- (٢٤) نفسه: ص ٢٥٩.
- (٢٥) نفسه: الصفات ٥٠-١٤١-٢٤٥-٣٤٦.
- (٢٦) نفسه: ص ٢٢٩. راجع: ص ٢٢١-٢٢٦.
- (٢٧) لعبة الكتاب العالمي: قيس كاظم الجنابي، جريدة الأديب، ع ٨٥، س ٢ (بغداد، ١٧/آب/٢٠٠٥ م): ص ٢٠.
- (٢٨) التوراة والنقد الجديد: قيس كاظم الجنابي، دار تموز (دمشق، ٢٠١٢م): ص ١٥٠.
- (٢٩) رحلة إلى قلب العدو: نجم والي، مجلة مسارات، ع ١٣، س ٤ (بغداد، ٢٠٠٩م): ص ١٥٩.
- (٣٠) عزازيل: يوسف زيدان، دار الشروق (القاهرة، ٢٠٠٩م): ص ٣٤٨.
- (٣١) نفسه: ص ٣٤٨.